

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 06 - سورة غافر - تفسير الأيتان 17 - 18

16-07-1993

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... مع الدرس السادس من سورة غافر، ومع الآية السابعة عشرة، وهي قوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ

1 - كسب الإنسان:

لو وقفنا عند كلمة: بما كسبت، ما كسب الإنسان؟ بعضهم قال: كسبه عمله، العمل حتمي، ما من إنسان إلا وله عمل شاء أم أبى، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى باديء ذي بدء سخر السماوات والأرض من أجل الإنسان، وفضلاً عن ذلك أعطى الإنسان قوة إدراكية ليبحث، وينقب، ويهتدي، ويستفيد من خيرات السماوات والأرض.

والحقيقة الدقيقة أن خيرات السماوات والأرض في الأعم الأغلب لا يُنتفع بها مباشرة، فالنبات لا بد من أن يُزرع، البئر لا بد من أن تُحفر، المعادن لا بد من أن تُستخرج، المسكن لا بد من أن يُبنى، النباتات القطنية لا بد من تُغزل، والخيوط لا بد من أن تُنسج، والنسيج لا بد من أن يُخاط، لحكمة بالغية جعل الله خيرات الأرض لا يُنتفع بها مباشرة إلا إذا بُذل من أجلها جهد بشري أساسه العلم.

إذاً: عندنا أرض فيها خيرات كثيرة، وهناك إنسان أعطاه الله قوة إدراكية، قوة بحث، وتنقيب، واستنتاج، وكشفاً، واختراعاً، ولا بد من جهد بشري من أجل أن تصبح هذه المواد نافعاً، هذه حقيقة.

الحقيقة الثانية: الإنسان ممكن، معنى ممكن أي يمكن أن يكون وأن لا يكون، فإذا كان يمكن أن يكون على نحو ما هو عليه أو على نحوٍ آخر، شاءت حكمة الله أن يجوع الإنسان، أن يكون هذا الجسد بحاجة إلى طعام وشراب، هناك حاجات أساسية ثلاث ؛ الأولى حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب حفاظاً على وجوده، وحاجة الإنسان إلى الطرف الآخر - إلى الجنس الآخر - حفاظاً على وجود نوع البشر، وحاجة الإنسان إلى الذكر أو بقاء الذكر.

أول حاجة هي كلما شعر الإنسان بالجوع اندفع إلى الطعام والشراب، كلما شعر بحاجته إلى الطرف الآخر اندفع إلى الزواج، كلما شعر بحاجته إلى تأكيد ذاته، وتخليد اسمه اندفع إلى البطولة أو التجاوزات.

إذاً: هناك دوافع فطرية لا بد من تلبيتها، جوع الإنسان يدفعه إلى أن يعمل، عمله منصبٌ على تحويل هذه الخيرات التي أودعها الله في الأرض، إلى خيراتٍ يستفاد منها.

إذاً: الإنسان بفطرته، ببنيته النفسية، بطبيعة المواد في الأرض، بطبيعة قوته الإدراكية لا بد من أن يعمل، من خلال العمل يُبني الإنسان.

مهّدت لكم الموضوع على الشكل التالي: الأرض مسخرة، لكن خيراتها تحتاج إلى جهد بشري، الإنسان فيه دوافع ؛ دوافع إلى الطعام والشراب، دوافع إلى الجنس الآخر، دوافع إلى تأكيد الذات، هذه الدوافع تجعله يعمل من أجل أن يأكل، لولا دافع الجوع لما رأيت بناء قد بني، ولا بنراً قد حُفرت، دافع الجوع هو الذي يحرك البشر، إذاً: هناك اندفاع نحو كسب الرزق، واندفاع نحو استكمال شق الإنسان بشقه الآخر، واندفاع نحو تخليد ذكره وتأكيد ذاته، وهذه الاندفاعات الثلاثة تقتضي أن يكسب الإنسان المال، من خلال تحويل المواد الأولية إلى موادٍ قابلة للانتفاع.

إذاً: هو يعمل شاء أم أبى، ما في خيار، ما دمت تحسُّ بالحاجة إلى الطعام فلا بد من أن تعمل، من خلال العمل يُبني الإنسان، يبني بالاستقامة أو بالانحراف، يبني بأنه لا بد من أن يعمل، من خلال العمل يكذب أو يصدق، يُخلص أو يخون، يدلس أو يُحكِم، لا بد من أن يُمتحن، فكل إنسان له عمل، سمّاه القرآن كسب، هذا الكسب سوف نحاسب عليه في الآخرة حساباً دقيقاً.

فمن الغباء بالإنسان أن يتوهم أن الأمور هكذا، والله أكلنا هذا المال والحلال على الشاطر، هذا كلام في منتهى السذاجة، في منتهى الغباء، الإنسان محاسب، لأن الله عز وجل عدالته تقتضي أن يحاسب العباد جميعاً.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93) ﴾

(سورة الحجر)

نحن أيها الإخوة في دار ابتلاء وانقطاع - دققوا في هاتين الكلمتين اللتين قالهما النبي عليه الصلاة والسلام يصف فيهما الدنيا - دار ابتلاء وانقطاع.

3 - الدنيا دار امتحان:

نحن في دار امتحان، نمتحن بكل شيء:

نُمتحن بالإيجابيات كما نمتحن بالسلبيات.

نمتحن بالخير كما نمتحن بالشر.

نمتحن بالعطاء كما نمتحن بالحرمان.

نمتحن بإقبال الدنيا كما نمتحن بإدبار الدنيا.

نمتحن بالصحة كما نمتحن بالمرض.

نمتحن بالقوة كما نمتحن بالضعف.

نمتحن بالمال كما نمتحن بالفقر.

كل طورٍ يطراً عليك هو امتحانٌ من الله عزَّ وجل.

لكن الله يعلم من أنت، إلا أن حكمة الله عزَّ وجل من الامتحان أن تعرف من أنت، لأن الإنسان أحياناً يتوهم أنه مؤمنٌ كبير، وربنا عزَّ وجل يعلم أن إيمانه أقلُّ من ذلك، يضعه في ظرفٍ دقيق فيظهر بحجمه الحقيقي، فالامتحان تعريفٌ لأنفسنا، وتعريفٌ لمن حولنا بنا.

فذلك كل واحد ممَّا له عمل، فلان مثلاً خطَّط للحرب العالمية الثانية، التي ذهب ضحيتها خمسون مليون إنسان، هذا عمله، إنسان أمر بإلقاء قنبلة على هيروشيما فقتلت ثلاثمائة ألف إنسان في ثلاث ثوانٍ، هذا عمله، عمله تدميري.

الأنبياء ماذا فعلوا؟ أعطوا الخلق كل شيء؛ أعطوهم الحب، أعطوهم الإيمان، أعطوهم الاتصال بالله عزَّ وجل.

4 - ما عملك في الدنيا؟

أكبر سؤال أن تسأل نفسك أنت أيها الأخ الكريم: ما عملك؟ جئت إلى الدنيا، وسوف تخرج منها، ما العمل الذي يُربط باسمك؟ أعمال عظيمة، أو أعمال إجرامية، أو أعمال تافهة، أو أعمال خسيصة، أو أعمال نفيسة، أو أعمال إيجابية، أو أعمال سلبية، أو أعمال خيرية، أو أعمال أساسها الإفساد، أو أعمال أساسها راب الصدع، فهذا السؤال الخطير: ما عملك؟ ماذا تفعل؟

نبدأ:

هل أنت أبٌ مثالي؟ هل حرصت على تربية أولادك؟ هل حرصت على أن تخلف من بعدك أفراداً طيبين صالحين؟

أنت ابن: هل أنت ابنٌ بار؟

كزوج، هل أنت زوجٌ مثالي أخذت بيد زوجتك إلى الله ورسوله؟

كزوجة، هل أنت أيتها الأخت زوجةً مثاليةً تطبقين ما أمر الله به، وأمر رسوله به؟

الإنسان له دور اجتماعي، بادئ ذي بدء هذا أب، هذا ابن، هذه زوجة، هذا إنسان تاجر، لكن التجارة لها صفات.

((إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا انتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم

يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان عليهم لم يمتلوا، وإذا كان لهم لم

يعسروا))

[من الجامع الصغير عن معاذ]

فلان موظف: هل تقوم بواجباتك كموظف؟ هل أنت في خدمة هذا المواطن، أم أنك تخلق له العقبات والمشكلات كي تبتز من ماله؟ عمل هذا الموظف أنه يخلق للمواطنين المشكلات كي يبتز أموالهم، هذا عمله، ربّما كان هذا العمل ترضى عنه في الدنيا، لأنه يجلب لك مبلغاً أكبر من دخلك الحقيقي، ولكن ما قولك إذا وقفت بين يدي الله عزّ وجل وسألك: لماذا فعلت هكذا بعبادي؟

أنت مدرس: هل أعطيت هؤلاء الطلاب حقهم، أم اضطررتهم إلى دروسٍ خاصة؟ لم تعلمهم علماً كافياً، لم تصحّ لهم وظائفهم، لم تجر لهم اختبارات صحيحة، حتى اضطر الأهل إلى دروسٍ خاصة يدفعون عليها مبالغ طائلة.

أنت طبيب: هل نصحت هذا المريض؟ هل راقبت الله عزّ وجل وأنت تعالجه، أم أثرت أن تكبر حجم مشكلته كي تجعله يرتبط بك دائماً؟

أنت محام: أنت مقتنع أن هذه الدعوى لن تنجح، كيف أقنعت الموكل بأنها تنجح؟ من أجل أن تأخذ مالاً ليس مشروعاً؟

كل واحد منا له دور اجتماعي في أسرته؛ هذا أب، هذا ابن، هذا أخ، هذه زوجة، هذا زوج. وهناك دورٌ مهني؛ أنت تاجر، عندك معمل مواد غذائية، هل تخشى الله عزّ وجل في أطفالنا؟ هل تضع في هذه المواد مواد من الدرجة الخامسة ليست جيدة، مواد فاسدة، ولا أحد يعلم؟ لكنك تراقب الله عزّ وجل،

أن الله الذي خلقك، وأكرمك بنعمة الوجود، ونعمة الإيجاد، ونعمة الهدى والرشاد يراقبك ماذا تفعل؟ ما نوع المواد التي تضعها في هذه الصناعات الغذائية؟

فكل واحد له دوران دور أسري، ودور مهني؛ فالتجارة مهنة، والصناعة مهنة، والزراعة مهنة، والطب مهنة، والهندسة مهنة، والتدريس مهنة، والمحاماة مهنة، والوظيفة الإدارية مهنة، كل واحد يعمل، فإما أن يحسن، وإما أن يسيئ، إما أن يكذب، وإما أن يصدق، إما أن يخلص، وإما أن يخون. هناك خيانة على مستوى اللون، لو قال لك إنسان: انتق أنت لي اللون الذي تحبّه، فأنا لا أعرف، فانتقيت له اللون الكاسد، وأقنعتة أن هذا أجمل لون، هذا لون السنة، وهو ليس كذلك، هذه خيانة. أنت من خلال عملك إما أن تصدق، وإما أن تكذب، إما أن تُخلص، وإما أن تخون، إما أن تنصح، وإما أن تُغش، هذا عملك، هذا هو أنت، وهذا لا يبدو في هذه الدنيا صارخاً، ولكن عندما يقترب الإنسان من أجله يبدو عمله صارخاً.

إن الإنسان اسمه مرتبط بعمله، ما نوع عملك؟ وشتان بين المؤمن والكافر، خذ حرفاً واحدة، راقب بها المؤمن، كيف ينصح؟ كيف يصدق؟ كيف يخلص؟ كيف يرحم المسلمين؟ كيف يحرص على مصالحهم؟ كيف يراف بهم؟ وراقب الكافر كيف يقسو عليهم؟ ويبتز أموالهم، ويكذب عليهم، ويدليس، ويقنعهم ليأخذ أموالاً طائلة؟

الدسّام، هناك دسّام ثمنه خمسة آلاف، ودسّام ثمنه ستون ألفاً، قال له: قل له ركبنا لك الدسّام الذي ثمنه ستون ألفاً، لن يعرف المريض، وهو ثمنه خمسة آلاف، هذا عمل الإنسان، هذا العمل يوم القيامة سوف يظهر، سوف يظهر جلياً، كل إنسان يعرف بحرقته كيف يصدق أو يكذب؟ ينصح أو يغش؟ يدليس أو يستقيم؟ ينحرف أو يعطف؟

إذاً: أيها الإخوة أخطر شيء في الحياة هو عملك.

" يا قبيس، إن لك عمل تُدْفَن معه وأنت ميّت، ويُدفن معك وهو حي، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان نليماً أسلمك ألا وهو عملك ".

العبادات الشعائرية والعبادات التعاملية:

فأنت لك عمل، والناس سبحان الله كما يقولون: " السنة الخلق أقلام الحق "، الإنسان عمله ظاهر ومكشوف، والناس يلهجون بالثناء عليه إن كان مستقيماً، إن كان صادقاً، ويطعنون به وبأقواله وأفعاله إن كان منحرفاً، فأخطر شيء أن الإنسان يتوهم الدين بسذاجة وغباء أنه صلاة وصوم، فالصلاة والصوم من أركان الإسلام، لكن الصلاة والصوم والحج تشبه تماماً ساعات الامتحان، ويسبق هذه العبادات الثلاث تسعة أشهر عاماً دراسياً.

فالعبادات نوعان: عبادات تعاملية، وعبادات شعائرية، العبادات الشعائرية من صوم وصلاة وحج لا معنى لها إطلاقاً، ولا قيمة لها، ولا تقدم ولا تؤخر إن لم يكن الإنسان في عباداته التعاملية مستقيماً على أمر الله عز وجل.

والله أيها الإخوة، لو استقام الناس على أمر الله، لو عرفوا ربهم حق المعرفة لعدوا للمليون قبل أن يكذبوا، قبل أن يغشوا، قبل أن يدلسوا، قبل أن يوهموا، قبل أن يبتزوا أموال بعضهم بعضاً. تجد من علامات فساد المجتمع أن الذي يأكل أموال الناس بالباطل يُعدُّ ذكياً، يعدُّ شاطراً، الذي يكذب عليهم، ويقنعهم يعدُّ متفوقاً؛ لكن المستقيم هو عند الله له شأن كبير، والإنسان العاقل هو الذي يبتغي العزة لا عند الخلق، ولكن عند الحق، يبتغي المكانة الرفيعة عند خالقه من خلال إخلاصه، واستقامته على أمر ربه.

الإنسان له عمل، حاسب نفسك، عملك في بيتك، هناك أب مهمل، هناك أم مهملة، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[الجامع الصغير عن أنس، وفي سننه ضعف]

فامرأة تعتنى بأولادها، تعتنى بتلبية حاجاتهم، بتربيتهم، بالسهير على مصالحهم، بالحرص على نفسياتهم، بتوجيههم التوجيه الصحيح، هذه يمكن أن تلقى الله بهذا العمل، يمكن أن تدخل المرأة الجنة إذا كانت أمّاً مثالية، والأمومة المثالية عملٌ تلقى المرأة به ربها.

الأبوة المثالية عملٌ يلقي به الرجل ربه، ممكن أن تلقى الله بأولادٍ ربّيتهم تربيةً سالحةً، وجّهتهم توجيهاً صحيحاً، جعلتهم أناساً صالحين طيّبين، نشؤوا على مكارم الأخلاق، يمكن أن تلقى الله بهذا العمل، النبوة المثالية يمكن أن تلقى الله بها.

الآن عملك المهني: أقول هذا كثيراً، وقد أعدت هذا على مسامعكم كثيراً: حرفتك، رزقك، عملك المهني، إذا كان في الأصل مشروعاً، وممارسته بطريقة مشروعة، وابتغيت به كفاية نفسك، وكفاية أهلك ومن يلود بك، وابتغيت به خدمة المسلمين، ولم يشغلك عن فرض، أو عن واجب، أو عن طاعة، أو عن مجلس علم، هذا العمل المهني ينقلب إلى عبادة، ويمكن أن تلقى الله به، ويمكن أن تدخل به الجنة، ليس الشرط أن يكون الناس كلهم دعاءً إلى الله، كل إنسان بحسب دوره الاجتماعي.

أصحاب الحرف إذا أخلصتم في حرفكم، وابتغيتم بها خدمة المسلمين، ولم تأخذوا مالاً زائداً عن الحد المعقول، ولم تشغلكم هذه الحرف عن طاعات ولا واجبات، ولا عن طلب العلم، فهذه الحرف تنقلب إلى عبادات هناك وأنتم لا تشعرون، حتى إن العلماء قالوا: المباحات إذا ابتغي بها وجه الله انقلبت إلى

عبادات.

درس اليوم: اسأل نفسك هذا السؤال: ما نوع عملك في الدنيا ؟

أنا أطمئن إخوتنا الكرام أنك إذا أردت أن تعرف مقامك عند الله فانظر فيما استعملك، لا تكذب، هناك هراءٌ كثير - إن لم تكذب لا تكسب المال - كلامٌ فارغ، الله سبحانه وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين.

((من حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد له مما رجا، وأقرب مما يتقي))

[من كشف الخفاء عن أنس]

أيّ إنسان يبتغي كسب المال من خلال المعصية فهو أحمقٌ كبير، لأنه يخسر شيئين، يخسر طاعة الله عزّ وجل، ويخسر المال، والدنيا بين أيديكم، ما أفلح عاصٍ لله عزّ وجل، ما أفلح كاذب، ما أفلح غاش، يجمع المال شيئاً فشيئاً فتأتي مصيبةٌ تمحقه جميعاً.

قال لي رجلٌ احترق محله: والله فيه ثمانية ملايين من البضاعة، ثم دمت عينه، وقال لي: لعلي في الثلاثين عاما الماضية أكلت أموالاً غير مشروعة، جمّعها الله لي، واحترقت هذه البضاعة.

مشكلة الإنسان أحياناً يكسب المال الحرام شيئاً فشيئاً، يجمعها الله، حتى إذا أصبحت مالاً كبيراً في لمح البصر يذهب، والشواهد كثيرة، والأمثلة كثيرة، كل شيء يقع تحت سمعنا وبصرنا هو في الحقيقة وراءه مشكلة، وراءه ذنب، وراءه محاسبة دقيقة، وراءه قصاص، وراءه جزاء، لكن البشر لا يعلمون، الله وحده يعلم لماذا تلف مال فلان ؟ لماذا فُلّس فلان مثلاً ؟ لماذا محق الله البركة من مال فلان ؟ أنت لا تعلم كيف كسب المال ؟ إذاً: ربنا عزّ وجل يقول:

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾

((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ؟

وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَا وَضَعَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ))

[من سنن الدارمي عن معاذ بن جبل]

5 - انتبه إلى عملك فإنه أخطر شيء:

والإنسان لا ترتاح نفسه، ولا يطمئن قلبه، ولا يسعد في دنيا إلا إذا كان مصطلحاً مع الله، والله سبحانه وتعالى طيبٌ ولا يقبل إلا طيباً، والأخطاء مع البشر من الصعب أن تُغفر إلا أن يغفر البشر، لكن الأخطاء مع الله عزّ وجل سهلٌ مغفرتها، هذه بينك وبين الله، لكن ما كان بينك وبين البشر صعبٌ أن تُغفر.

فكل إنسان أيها الإخوة ينتبه لعمله، أولاً أن لا يكون عمله غير مشروع، أن لا يكون عمله مبني على إيذاء الآخرين، على سلب ما عند الآخرين، ما يكون عمله مبني على الكذب أو الخداع أو الغش، ما

تكون البضاعة التي يبيعها محرمة، ما تكون الطريقة التي يستخدمها طريقة غير مشروعة، ينتبه لعمله، لأن عمله هو الذي يعطيه مكانته عند الله عز وجل.

وما في عمل مهني للإنسان إلا وهو سَلَّم ترقى به إلى الله، أو دركات تهوي به إلى النار، أبدأ ؛ حرفتك، دورك في الأسرة، أبوتك - هناك أبوة فاسدة، وأمومة فاسدة، وبنوة فاسدة - دورك في أسرتك، ودورك في مهنتك.

أنت الآن موظف، يجب أن تكون مخلصاً لربِّ العمل، هذا الوقت وقته، أنت الآن رب عمل، يجب أن تكون منصفاً مع العمال أو مع الموظفين، أن تعطيمهم حقهم، أن لا تستغل حاجتهم كي تنمي على أكتافهم ثروة طائلة، كل إنسان محاسب، دورك الاجتماعي، لك دور اجتماعي ؛ أنت جد، الجد مظنة صلاح، مظنة إنصاف، حرمت فلانة، أعطيت فلانة لنزوة شخصية هذه تحاسب عنها.

يا أيها الإخوة الكرام... أخطر ما في حياتنا أعمالنا، بها نرقى أو بها نهوي، بها نسعد أو بها نشقى، بها تكون درجات إلى الله عز وجل، ومن خلالها تكون دركات إلى النار، فكل إنسان يراجع نفسه، الحياة الدنيا قصيرة، والإنسان في دار ابتلاء.

في أول الدرس قلت: نحن في دار ابتلاء وانقطاع، معنى انقطاع: أن الموت يأتي فيلغى غنى الغني، ويلغى فقر الفقير، ويلغى قوة القوي، ويلغى ضعف الضعيف، ويلغى مرض المريض، ويلغى صحة الصحيح، فالموت أنهى كل شيء، وبقي العمل.

الشيء المؤلم أن الإنسان بعد الموت تنقطع منفعة ماله، وتبقى تبعه هذا المال، تنقطع المنفعة وتبقى التبعة، الميت ترفرف روحه فوق النعش فتقول: " يا أهلي يا ولدي، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال مما حلَّ وحرَّم، فأنفقته في حلِّه وفي غير حلِّه، فالهناء لكم والتبعة علي ".

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاصِعٌ جِبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجْرَةً تُعْضَدُ))

[الترمذي]

السؤال صعب، صعب جداً، إذا قيل لإنسان: تعال إلينا بعد يومين، لا ينام الليل، لماذا يريدونني ؟ ماذا قلت ؟ لا ينام إطلاقاً، إن قيل له: تعال بعد يومين لنسألك، هذا سؤال بشر لبشر متعب ومخيف، فكيف بخالق البشر الذي يعلم السر وأخفى، ولا تخفى عليه خافية ؟ فالإنسان السعيد الذي طويته كعلائيته، سريره كعلائيته، سره كجهره، خلوته كجلوته، ما عنده ازدواجية، ما في قلبه على لسانه، ما يقوله

بلسانه يُجسُّ به في قلبه، أما الأساليب الماكرة، الاتجاهات المنحرفة فهذه كلها خطيرة في الحياة. أيها الإخوة الأكارم، احرص على أن يكون عملك في طاعة الله، احرص على أن يكون في مرضاة الله، لأن ربنا عزَّ وجل إذا غضب:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) ﴾

(سورة البروج)

والله لا يتسع المجال لأذكر لكم قصصاً واقعيةً نعيشها جميعاً.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) ﴾

الله سبحانه وتعالى إذا انتقم كان الشيء الذي لا يُعقل، فالعاقل هو الذي يخاف الله عزَّ وجل، فالكذب الذي هو شائع بين الناس كله محاسبٌ عليه.

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

[من مسند أحمد عن أبي أمامة]

لو ألغي الكذب من حياتنا لكنا في حالٍ آخر غير هذا الحال، وربنا عزَّ وجل كل أسمائه الحسنی الكون مظهرٌ لها، الكون مظهرٌ لعلمه، مظهرٌ لقوته، مظهرٌ لقدرته، مظهرٌ للطفه، مظهرٌ لرحمته، إلا اسماً واحداً، هذا الاسم الواحد لا يتحقق إلا يوم القيامة، وهو أنه عدلٌ، الآن هناك قوي وضعيف، هناك ظالم ومظلوم، هناك مريض وصحيح، متى تسوى الحسابات ؟

الحظوظ في الدنيا توزع توزيع ابتلاء:

بالمناسبة: ربنا عزَّ وجل يوزع الحظوظ في الدنيا - انتبه لكلمة حظوظ - المال حظ، الوسامة حظ، الذكاء حظ، الزوجة الممتازة حظ، الأولاد الأبرار حظ، المنزل الواسع حظ، المركبة الوطنية حظ، السمعة الطيبة حظ، القوة والصحة الطيبة حظ، هذه الحظوظ توزع في الدنيا توزيع ابتلاء، كل إنسان مبتلى بما أعطاه الله، ومبتلى بما حرمه الله، في الوقت نفسه مبتلى بما أعطاه، مبتلى بما حرمه، لكن الحظوظ يوم القيامة تُوزع توزيعاً آخر، لا توزع توزيع ابتلاء، بل توزع توزيع جزاء، ربٌّ غني ابتلي بالغنى فلم ينجح، وربٌّ فقير ابتلي بالفقر فنجح، فعاش الفقير إلى أبد الأبدین غنياً، وعاش الغني إلى أبد الأبدین فقيراً، فالدنيا لا قيمة لها.

((نُو كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءٍ))

[من سنن الترمذي عن سهل بن سعد]

الدنيا دار من لا دار له ولها يسعى من لا عقل له

أنت دَقِّق، حتى أخذ شقفة شهادة يقول لك: ذاب بذرُ مَجِّي، حتَّى عَيَّنوه مكث خمس سنوات بعد مسابقة، وبعدما تعيَّن ظهر له أن المعاش لا يكفي، فاشتغل في عمل إضافي، حتى اشترى بيت صغيراً في طرف المدينة بمساحة ستين متراً، حتى أمَّن الأثاث لزمه سنتان، حتى تزوَّج، بعد هذا اشتغل في التجارة، جاءه دخل جيِّد، غيَّر البيت، غيَّر الأثاث، زيَّن البيت، اشترى سيارة، صار عمره خمسة وخمسين عاماً بدأت متاعب الصِّحَّة، وهكذا الحياة.

شروط اللذة الدنيوية:

مرة قلت لكم كلمة: إن السعادة - عفواً، اللذة، دعك من السعادة لأنها هي بالقرب من الله عزَّ وجل - لذات الدنيا تحتاج إلى شروط ثلاث: تحتاج إلى وقت، وتحتاج إلى مال، وتحتاج إلى صحَّة، الإنسان يمر في الحياة بثلاثة أطوار:

الطور الأول هناك وقت وصحَّة، ولكن لا مال منتوف ما عنده شيء إذاً: ليس سعيداً، لأن لا مال معه. الطور الثاني: هناك مال وصحَّة، ولكن لا وقت، تجد أحياناً مائتي بيت بالمصانف فارغة، أصحابها مشغولون بأعمالهم التجاريَّة، المال موجود، والصحَّة، ولكن ليس هناك وقت.

يأتي الطور الثالث صار في وقت، والمال وافر، ولكن لا توجد صحَّة، تجده يحمل حقيبة أدوية، هذه هي الدنيا، هذه الدنيا تغرُّ وتضرُّ وتمر، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (5) ﴾

(سورة فاطر)

أن تغتر بها، أن تراها بحجم أكبر من حجمها الحقيقي، هي صغير جداً، تافهة، يقول سيدنا علي عن رسول الله: <فليظنر ناظرٌ بعقله أن الله أكرم محمداً أم أهانه حين زوى عنه الدنيا، فإن قال: أهانه فقد كذب، وإن قال: أكرمه فقد أهان غيره حيث أعطاه الدنيا >.

كان النبي اللهم صلَّ عليه لا يتسع بيته لصلاته - في قيام الليل - ونوم زوجته، فكان إذا صلَّى قيام الليل رفعت السيدة عائشة رجليها ليتمكَّن أن يصلي هذا سيِّد العالمين، هذا يكفي، هذا أكبر شاهد، الدنيا لا قيمة لها، القيمة لطاعة الله عزَّ وجل.

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) ﴾

(سورة الأحزاب)

الغنى والفقر بعد العرض على الله:

يقول سيدنا علي: << الغنى والفقر بعد العرض على الله >>، فالذي نجّمعه سننًا سننًا، يأتي ملك الموت فيأخذه دفعةً واحدة، وقف قلبه، غير معقول، يأتون بمرأة، ويضعونها على فمه، هناك آثار تنفّس؟ لا يجدون شيئًا، يأتون بمصباح شديد على عينه، هل انكشمت القزحية؟ لم تتحرّك، القلب وقف، والقزحية ما تأثرت بالضوء، والمرأة لم تتأثر بالتنفّس، عظم الله أجركم، أخذوا الساعة من يده، في فمه سن من الذهب سحبه منه، يقولون لك: الحي أولى، هذه الدنيا، كل شيء جمّعه في حياته يفقده في ثانية واحدة.

إذا كان الرجل ماشيا في طريق، ورأى بناء على العظم، وله بيت، فماذا يقول للناس؟ أنا أخذ هذا البيت، فكيف رأيتموه، هل هو جيّد؟ شيء طبيعي جداً إذا اشترى بيتا ببناء على العظم، ومررت مع صديقك تقول له: هذا البيت أنا اشتريته، أخذته قبلًا غربيا، ثالث طابق، وكذلك فيه مصعد، ومساحته مائتان وخمسون مترًا، لماذا إذا مرّ الواحد أمام مقبرة لا يقول: أنا لي بيت هنا؟ هذا البيت أثبت من ذاك، البيت الذي اشتريته قد لا تسكنه، أما البيت الأخير فلا بدّ من أن تقطن فيه، والدليل: النعي كله يكتب: " وسيشيع إلى مثواه الأخير "، هذا المثوى الأخير حق، فالبطل العاقل الذكي الذي يعمل لهذا القبر، هو يتاجر، ويعمل، وينشط، لكن كله وفق منهج الله عزّ وجل، حتى إذا جاء ملك الموت كان مستعدًا لهذا اللقاء.

الموت أسعد لحظات المؤمن، وأسوأ لحظات الكافر:

لا يستطيع أحدٌ على وجه الأرض أن يُنكر الموت، ولكن الفرق بين المؤمن وغير المؤمن هو أن المؤمن يستعدُّ له، بينما غير المؤمن يأتيه الموت فجأةً، وأروع شيء في الحياة أن لا تفاجأ، المؤمن لا يفاجأ بالموت، لأنه يستعد له من خمسين عاماً، "مرحباً بالموت، حبيبٌ جاء على شوق" هكذا قال أحد الصحابة - المؤمن الصادق المستقيم يستعد للقاء الله منذ أن عرف الله، كل موقف يزنه؛ هل يرضي الله؟ هل في عملي شائبة؟ أما غير المؤمن يفرح، ويمرح، والموت عنده كارثة.

﴿ قَدْزَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83) ﴾

(سورة الزخرف)

الموت من دون توقُّع شيء صعب جداً، وهذا يعرفه الإخوة الأطباء، عندما يعالجون مرضى على وشك الموت يجدونهم في ذعر واضطراب، أما لو قرأت سيرة أصحاب رسول الله لوجدت العجب العجاب، هم في أسعد حالاتهم حينما دنا أجلهم. "واكربتاه يا أبت"، قال: "لا كرب على أبيك بعد الموت غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه".

أحد الصحابة قال: " والله لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت أن أزيد في عملي "، فهو يمشي بأقصى سرعة، والباب مفتوح، وكلنا عند الله سواسية، لا أحد أحسن من أحد، "يا سعد، لا يغرنك أنك خال رسول الله، فالخلق كلهم عند الله سواسية، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له ".

لا ينفع نسب يوم القيامة:

فتقييم الناس هذه سقطات جاهلية، أي إنسان، كن ابن من شئت، واكتسب أدباً، الأنساب ليست لها قيمة أبداً.

((أنا جد كل تقي، ولو كان عبداً حبشياً))

[كشف الخفاء]

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ حُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسْطِ أَيَّامِ النَّشْرِ فَقَالَ:
((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَلَبَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَبَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:
لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَانِبِ))

[من مسند الإمام أحمد]

أما الأنساب لها قيمة مع الإيمان، قال النبي الكريم:

((الشرف معوان))

[ورد في الأثر]

أما بلا إيمان.

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) ﴾

(سورة المسد)

وهو عم النبي.

((سلمان من آل البيت))

[الجامع الصغير عن عمرو بن عوف]

سيدنا بلال دخل على عمر بن الخطاب كثيراً، وزعيم قريش واقف على الباب لم يؤذن له، فلما دخل عليه عاتبه، قال له: >> زعيم قريش يقف ببابك ساعاتٍ طوال، وصهيبٌ وبلال يدخلان ويخرجان بلا استئذان؟ " قال له: "أنت مثلهما؟ أين هم منك وأين أنت منهم؟ <<.

النقطة الدقيقة: أننا كلنا سواسية، فافتخار الناس بأموالهم، بأحسابهم، برتبهم الاجتماعية بشهاداتهم، هذه كلها للدنيا، القرآن ما اعتمدها إطلاقاً.

إذاً: التركيز على العمل، قل لي ما نوع عملك أقل لك من أنت، وأخطر شيء عملك، صلاة جوفاء، وصيام أجوف، وحج سياحة لا يلغي العمل السيئ، العمل السيئ في دكانك، في مكتبك، في عيادتك، في مكتبك الهندسي، في صفك، في وظيفتك، هنا عملك، هنا يبدو إسلامك، هنا يبدو إيمانك، إذا كنت ذا عملٍ طيب فصلاتك مقبولة، تقف لتصلي ترى الطريق سالكاً إلى الله، ترى أن الله يتجلى على قلبك، لأنك إنسان خيّر، طيب، صالح، أما إذا كان فيك غش، وكذب، واحتيال، وحرمان، و كسب مال غير مشروع، وإنفاق غير مشروع، وأعمال سيئة لا ترضي الله عز وجل، وأنت حريصٌ على مظاهر الدين، فهذه لا تقدّم ولا تؤخّر..

﴿ الْيَوْمَ نُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلْمَ الْيَوْمَ ﴾

لَا ظَلْمَ الْيَوْمَ

1 - الدنيا مملوءة ظلمًا:

إذا امتلأت الأرض ظلماً وجوراً كما قال عليه الصلاة والسلام، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((الْمُهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ

سِنْعَ سِنِينَ))

[أبو داود وأحمد]

معنى هذا أحياناً تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، والأشياء بين أيديكم، في كل أنحاء العالم الظلم والجور، تمتلئ ظلماً وجوراً.

2 - لا ظلم يوم القيامة:

أما يوم القيامة:

﴿ لَا ظَلْمَ الْيَوْمَ ﴾

هذه (لا) نافية للجنس، ونفي الجنس أبلغ من نفي المُفْرَد، أحياناً يقول لك واحد: عندك رغيف خبز ؟ إذا قلت له: لا، فقد يكون عندك كعك، قد يكون عندك معكرونه، قد يكون عندك أطعمة أساسها القمح، أنت لحرصك على أن تنفي له تقول، له باللغة الدراجة: جنس الخبز ما عندي، نفي الجنس أبلغ من نفي المُفْرَد، وهذه (لا) إعرابها: لا النافية للجنس، تنفي الجنس، الاسم الذي يأتي بعدها مبنياً على الفتح هو اسمها، و(لا) نافية للجنس.

﴿ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ ﴾

أي لا يمكن أن يتصوّر أي نوعٍ من أنواع الظلم أبداً، تأخذ حقك الكامل، فما دام هناك ميزان دقيق، وعدالة فلا ظلم.

أنا قلت لإنسان اليوم: تصوّر لو أنك راكب مركبة والإشارة حمراء، والشرطي واقف، وشرطيان واقفان بجانبه على دراجتين، وسيارة فيها نقيبان من الشرطة، فهل تمشي والإشارة على الأحمر ؟ مستحيل - وأنت مواطن عادي طبعاً - لا تمشي، لأن الذي أصدر هذا القانون يطولك بعلمه، وتطولك أيضاً بقدرته، هناك حجز، وغرامة كبيرة، فأنت مع إنسان إذا أيقنت أنك لن تفلت منه تطيعه، فليت الإيمان بالله يرقى إلى مستوى الإيمان بإنسان أمامك قوي، مع إنسان من بني جلدتك لن تتخطى الإشارة الحمراء، ما دام الإنسان يحاسبك حساباً عسيراً، فإذا أيقنت بوجود الله، أيقنت أنه سيحاسب، لأن الآية الكريمة:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾

احذر فإن علم الله وقدرته يطولانك:

لماذا ؟

﴿ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12) ﴾

(سورة الطلاق)

ذكر اسمين من أسمائه، له تسعة وتسعون اسماً، ما ذكر إلا اسمين، لأن هذين الاسمين يكفيان كي تستقيم على أمر الله، إذا أيقنت أنه يعلم، وسيحاسب، انتهى الأمر، لا بدّ من أن تصدق، نسخة من البيان أرسلت إلى الماليّة، سألوك: ما الذي استوردته في هذه السنة ؟ أنت تعرف أن هناك نسخة عندهم، فلا يمكن أن تكذب أبداً، لأنك لو كذبت سنكشّف فوراً، إذا أيقنت أن الله يعلم، وأنه سيحاسب فلا بدّ من أن تستقيم على أمره.

يا أيها الإخوة الكرام، إذا كان للإنسان معصية مقبولة عليها فلا بدّ أن في إيمانه خللاً، أن يقينه بعلم الله ضعيف، أو أن يقينه بمحاسبة الله ضعيف، لو أيقن يقيناً قطعياً أن الله يعلم، وسيحاسب لا يعقل أن يعصي الله عزّ وجل.

الآية دقيقة جداً:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾

أي أن علة وجودكم أن تعلموا.

﴿ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12) ﴾

(سورة الطلاق)

يعلم ويقدر، أي أنه يعلم وأنت في قبضته، مستحيل تعصيه، فإذا عصي الله عز وجل فلضعف في إيمان الإنسان إن بعلمه أو بقدرته.

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾

ماذا أترك ورائي من عمل بعد الموت ؟

اسأل نفسك: ما نوع الكسب الذي أكسبه ؟ ما نوع العمل الذي ألقى الله به ؟ إذا ذكر اسمي بين الناس ماذا يقال عني ؟ أحياناً يقال: فلان أكبر دجال، فلان ليس نظيفاً، فلان سارق، هذا عمله، فلان ابن حرام، فلان مؤذٍ، فلان كذاب، هذا يسموه بادئ الرأي، أي النظرة الأولى، فكل إنسان له عمل، باستقامته وبحرصه على طاعة الله يلمع اسمه في سماء المعرفة.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) ﴾

(سورة الشرح)

عندما تتقصى طاعة الله عز وجل فلها مكاسب كثيرة في الدنيا، منها أن الله سبحانه وتعالى يرفع شأنك، صار لك مكانتك العالية، لك هيبتك، محبوب، والبطولة لا أن تمدح في حضورك، بل أن تمدح في غيبتك، فعلامه العمل الطيب أن الناس يثنون عليك في غيبتك.

﴿ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ ﴾

هذه (لا) نافية للجنس.

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ

سريع الحساب: لأن الحساب طويل يحتاج إلى جهد جهيد، لكن ربنا عز وجل كن فيكون، والآن اخترعوا أجهزة تعطي حساباً سريعة، يقول لك: قفزة نوعية في الحسابات، ربنا عز وجل سريع الحساب، كل شيء جاهز.

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ يَقُولُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ

بقيت آية واحدة، وهي قوله تعالى:

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ ﴾

1 - يَوْمَ الْأَرْزَاقِ:

سُمِّيَ يوم القيامة يوم الأرزفة من الفعل أَرْزَفَ أي اقترب، كل آت قريب، طَبَّقُوا هذا أول رمضان، بقي عليه ثلاثون يوماً، تمضي الأيام سراعاً، ويأتي العيد، العيد الكبير بقي عليه شهران وعشرة أيام، تمضي الأيام سريعاً، يأتي العيد الأضحى، دخلنا في الصيف، صيف وحر، يأتي الشتاء، تَرَكَّبَ المدافئ، ترتدي المعاطف، وأنت في الشتاء يأتي الصيف، كنا بالسبعينات، أول سنة الثمانين، ألف وتسعمائة وثمانون، مضت الثمانينات، الآن بالتسعينات، مازال هناك عام الألفين وما بعده، وهكذا تمضي الحياة، الوقت من خصائصه أنه يمضي سريعاً.

فليسأل الواحد منا نفسه: كيف مضت هذه الأربعون سنة؟ هذه الخمسون، هذه الخمسة والثلاثون؟ يقول لك: البارحة كنا صغاراً، والإنسان يقول: يا ولد لا تحتاج إلى هذا، معنى هذا أنه ولد، ولا يزال يرى نفسه صغيراً، الأيام تمضي سريعاً، الموت على الطريق، محطة، والقطار ماشٍ، والموت آخر المحطة. إذا ركب الرجل قطار الزبداني، انطلق من محطة الحجاز، دخل في منطقة الوادي، بعد هذا وقف القطار تفضلوا بالنزول، آخر المحطة، ما دمنا متحرِّكين والهدف ثابت فكل متوقِّع آت، فربنا عزَّ وجل سمَّى يوم القيامة يوم الأرزفة، لأنها تأتي قريباً، أحياناً تجد نعيًا واحداً على الجدران، انتهى، كتاب وانطوى، قصَّة وانتهت، كان شخصاً صار خيراً على الجدران، انتهى، وبقي عمله، الآن الموت، البرزخ، ثم يوم القيامة، فالإنسان لا يعتر بالدينيا.

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ ﴾

سُمِّيَت الأرزفة لأنها قريبة جداً.

﴿ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾

2 - إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ

من شدَّة الخوف.

﴿ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴾

3 - كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ

ما من إنسان له معك علاقة حميمة بإمكانه أن ينقذك، وليس هناك شفيع يشفع لك عند الله عزَّ وجل في العمل السيئ الذي اقترفته، انظر للآية فما أوضحها.

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ﴾

لو أن إنساناً - كما أقول هذا كثيراً - استطاع أن ينتزع من فم النبي عليه الصلاة والسلام حكماً لصالحه، وهو ليس محقاً، لا ينجو من عذاب الله - انتزعه من رسول الله - فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَاتِّمَّا أَقْطَعْ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا))

[متفق عليه]

لا تنجو، فلا أحد يتكئ على أشخاص، ولا على نسب، ولا على قرابات، نصيحة لوجه الله، إياك أن تعتمد على نسب، ولا على قرابة، ولا على ولاء، ولا على اتصال، لو أن لك صلة بالنبي عليه الصلاة والسلام ما بعدها صلة، وانتزعت من فمه الشريف حكماً لصالحك، ولست محقاً بكلامك لا تنجو من عذاب الله، فما قولك ؟

﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ، فَأَقُولُ: سُخْفًا سُخْفًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي))

[متفق عليه]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِيَ رِجَالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجَنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ))

[متفق عليه]

فكذلك الآن في الدنيا إذا تلبس إنسان بمشكلة كبيرة فيها مساس بأشياء كبرى في حياتنا، تجد أن كل الوسطاء ينسحبون، يقولون لك: لا نقدر، هذه شيء فوق طاقتنا، وهذا في الدنيا، كموضوع مخدرات أو غيره، فالكل ينسحبون، يجب أن يلقي العقاب العادل، فكيف مع الواحد الديان ؟

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾